

مستقبل النظام السياسي العراقي في ظل المتغيرات الدولية - رؤية تحليلية -

م.م. عفران رياض محمد
جامعة الموصل / كلية العلوم السياسية

ملخص البحث

منذ اعلان الدولة العراقية عام ١٩٢١ بشكلها الملكي البرلماني وبدستور تشير دباخته الى ظهور دولة جديدة حرة ذات سيادة كاملة ودستورها ينتمي الى دساتير الأنظمة السياسية الديمقراطية، فلقد توالى الاحداث السياسية على الدولة العراقية حتى سقوطها على يد التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة ٢٠٠٣ والذي شكل مدخلا في مخرجات البناء الأول للدولة العراقية الجديدة بطريقة الاكراه والإرادة الخارجية وليس بطريقة العقل الاجتماعي والإرادة الداخلية. ان مدخلات بناء أي دولة في العالم لها تأثير واضح في مستقبلها وفي تفسير سلوكها وحجم وقوة او ضعف تأثيرها في البيئة الإقليمية والدولية ولعلا هذا الوصف ينطبق على الدولة العراقية الجديدة التي تم الإعلان عنها بعد عام ٢٠٠٣ . فكان لابد من دراسة عناصر القوة والافتقار في الدولة العراقية الجديدة ومدى مساهمتها في احداث التوازنات الإقليمية لتحقيق حالة الاستقرار واستتباب الامن .



The future of iraq in light of the variable of global power from analytic vision

by

AFRAA RIYAD MOHAMMED.

ASSISTANT TEACHER

COLLEGE OF POLITICAL SCIENCES

The summary

From the declaration of iraq state since 1921 by its royal and parliamentary and buy regulation which refers to his preamble that appearance of a new free state and has regime belong to the democratic political regime. It was followed in succession many political events till it's full at the hands of international alliance on 2003 head by the united states, which shape output for construction for new iraqi state by method of correction and by external administration and not by social contract and inter will .

If there is output for building any states in the world it has clear affect for her future and for explanation of their behavior and wellness or its strength for the affect. In regional construction and international this description may apply for iraqi news state which hael been announced after 2003, therefore it is necessary to study the elements of power and affordability in new iraqi state and extend of their. Contribution for a greeting regional balance for achieve stability and stabilization security .

المقدمة :

لمعرفة مكانة دولة ما، وتأثيرها في البيئتين الاقليمية والدولية، والوقوف عند أكثر الاحتمالات قريبا من التحقق لمستقبلها السياسي، لا بد من انتهاج المنهج العلمي والعملية لتحليل التاريخ القريب للدولة، وتحليل النظم المقارنة مع نظامها السياسي، ونهج الدراسات المستقبلية الذي يعتمد على لغة الارقام وحجم ونوع عناصر القوة الشاملة للدولة ، وحجم ونوع التهديدات الانية والتحديات المستقبلية طبقاً للتحليل العلمي والعملية لطبيعة الظروف الموضوعية لنشأة هذه الدولة في ظل تفاعلات السياسات الدولية في النظام الدولي في المدة التي انبثقت فيها تلك الدولة، وتحليل البيئتين الإقليمية المحيطة بها، والبيئة الدولية المؤثرة عليها بالتفاعل مع المزايا والسمات الجيوسياسية التي تحملها الدولة وتأثيرها بالخصائص الجيوستراتيجية للإقليم.

فمنذ إعلان تشكيل الدولة العراقية عام ١٩٢١ بشكلها الملكي البرلماني وبدستور تشير ديباجته وبعض بنوده إلى ظهور دولة جديدة حرة ذات سيادة كاملة، ودستورها ينتمي إلى دساتير الأنظمة السياسية الديمقراطية، وجدنا إن تحليل الوقائع لطبيعة العمل السياسي من داخل مؤسسات هذا الدولة الجديدة لا تشير إلى وجود سيادة حرة كاملة بالمعنى الاستقلالي للقرار السياسي والاجتماعي والاقتصادي لخضوع جميع مؤسسات الدولة بشكل مباشر للبريطانيا عن طريق تواجد القوات البريطانية على أراضيها، وبشكل غير مباشر عن طريق الاتفاقيات الثنائية مع بريطانيا وتواجد مستشاريها كمشرفين لصانع القرار في مؤسسات الدولة بشكل جعل العراق أداة لخدمة الأهداف الإمبراطورية الانكليزية في المنطقة .

كبل العراق بمعاهدة الانتداب مع بريطانيا عام ١٩٢٢ ومعاهدة الامتيازات النفطية في ١٩٢٥/٣/١٤ قبل نشر الدستور بأيام والمصادقة عليه في ١٩٢٥/٣/٢٥ لتتلاقى مضمون مادته ٩٣ التي ترتب سيادة عراقية على ثرواته وموارده الطبيعية كأى دستور لأي دولة حرة العالم ، ودخل العراق عصبة الأمم من البوابة البريطانية لاكتساب العضوية فيها، ولأجل تفرد بريطانيا بالغيمنة العراقية عمدت إلى تسوية خلافات العراق الحدودية والنفطية وقضية الموصل مع تركيا لبناء الغطاء القانوني الدولي لهيمنة بريطانيا على العراق عن طريق المساومة لدعم الحكومة العراقية في هذه المعارك القانونية الدولية مقابل الإذعان لهيمنتها دون غيرها من القوى العالمية بموجب معاهدة ١٩٣٠ التي كانت تعتبر كإطار استراتيجي لتنظيم العلاقة ما بين الطرفين (الطرف البريطاني القوي المهيمن، والطرف العراقي الضعيف الخاضع) .

تولت الأحداث السياسية على الدولة العراقية حتى سقوطها على يد التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة عام ٢٠٠٣ والذي شكل مدخلا في مخرجات البناء الأول للدولة العراقية الجديدة بطريقة الإكراه والإرادة الخارجية، وليس بطريقة العقد الاجتماعي والإرادة الداخلية، إن مدخلات بناء أية دولة في العالم لها تأثيرا واضحا في مستقبلها وفي تفسير سلوكها وحجم وقوة أو ضعف تأثيرها في البيئة الإقليمية والدولية، ولعل هذا الوصف ينطبق على الدولة العراقية الجديدة التي تم الإعلان عنها بعد عام ٢٠٠٣.

السؤال هنا هل تستطيع الدولة العراقية الجديدة إن تمتلك عناصر القوة والاعتدال في لعب الدور المطلوب منها لجانب المصالح العراقية الحيوية ، وتساهم في إحداث التوازنات الإقليمية لتحقيق حالة الاستقرار واستتباب الأمن في منطقة لم تعرفه خلال القرن المنصرم ، أم إنها ستفشل كما فشلت الدولة العراقية التي أنتجتها بريطانيا عام ١٩٢١ حيث نجد تقاربا نسبيا في نتائج تقهقر القوة البريطانية وقتها مع التقهقر لعناصر القوة الشاملة الذي تعاني منه الولايات المتحدة حاليا .

هذا التساؤل وغيره من التساؤلات تشكل اشكالية البحث الذي استند على الاجتهاد في اثبات فرضة مفادها "كلما كانت مدخلات بناء الدولة وطنية محلية حرة كلما كان مستقبلها هو الاقرب للنقمة والتطور".

اهمية البحث :

اهمية مرتبطة عضويًا بضمان مستقبل شعب ودولة العراق، والبحث المتواصل من اجل انقاذ الدولة العراقية من ضعفها الذي رتب استقطاب وصراع القوى الاقليمية والدولية بهدف الهيمنة عليها.

اشكالية البحث :

وجود اختلاف يصل الى حد التناقض في تقديم الاجابات السليمة لأسئلة تتعلق في اسباب تدهور وتفكك الدولة العراقية، وكيف يمكن بناء قوة محلية شاملة تمكن الدولة العراقية من التخلص من الهيمنة الاقليمية والدولية ومن الضعف المعمم فيها ، مع وجود صعوبات عديدة في تتبع سرعة وكثافة المتغيرات السياسية والاقتصادية والامنية المتعلقة بالدولة العراقية مع محيطها الاقليمي والدولي .

فرضية البحث:

ان عملية التخلص من تداعيات التدخلات الاقليمية والدولية على الدولة العراقية لا يتم الا من خلال بناء قوة ذاتية تؤثر بشكل ايجابي في هذه التدخلات وتدفعها في اتجاه المصالح المشتركة .

منهجية البحث:

من أجل اثبات صحة الفرضية ، وتقديم اجابات قريبة من التحقق تمت الاستعانة بالمنهج الوصفي ، والتاريخي، وتحليل النظم ، والتحليل العلمي ، وعملية استقراء تتعلق بتقديم رؤية مستقبلية لحل معضلة التداخلات الاجنبية في الدولة العراقية منذ نشؤها.

هيكلية البحث:

قسم البحث الى مبحث اول تحت عنوان: في مفهوم السلطة العالمية ومبحث ثاني : العراق في ظل تدخلات القوى الدولية في القرن العشرين ، ومبحث ثالث : العراق في ظل متغيرات القرن الحادي والعشرين ، وخاتمة تضمنت الاستنتاجات ، والتوصيات التي توصل اليها الباحث مع عرض المصادر.

أولاً: مفهوم السلطة العالمية

السلطة :

لان التدخلات الكبيرة والاستراتيجية تأتي من البوابة الكبيرة ، بوابة القوى الدولية العظمى ، لا بد هنا من تعريف هذه البوابة لأنها تمثل السلطة العالمية .

هي واقعة اجتماعية سياسية ثقافية ارتبطت بالنشاطات الإنسانية، ويقول عنها عالم الاجتماع دور كهايم " إن السلطة هي النظام الاجتماعي الوحيد الذي استطاع أن يجتاز عاصفة التاريخ الحديث وهي ظاهرة إنسانية في السلوك الاجتماعي، هي أقدم من ظاهرة الدولة، والسلطة السياسية جاءت مع مجيء الحكومات في إدارات الدول. فهي تعني تنفيذ الآخرين لما يرغب به صاحب السلطة أي صاحب الوسائل والإمكانات التي تدفع الآخرين لتنفيذ الأوامر والرغبات طمعا بها أو خوفا منها أو عدم القدرة عن الاستغناء عنها . فالطاعة والخوف والهيبة والرغبة والالتزام والاحترام كلها معاني لوجود تأثيرات السلطة.

وغالبا ما يعبر مفهوم السلطة عن فرض القوانين والأوامر الصادرة عن القابعيين عليها ، بواسطة المنفذين لأوامرها، وعن مفهوم غاية وأهداف السلطة فهي تختلف بموجب اختلاف النظريات والفلسفات التي تنشئتها ، فمفهوم السلطة في أنظمة الحكم الشمولية والاستبدادية هي التعبير عن مصالح الفئات والطبقات والأحزاب الحاكمة، وعندما تعبر السلطة عن مصلحة الجميع بدون استثناء وفق المثل والقيم العالمية الدينية لها فإنها تدخل في إطار تنظيم السلطة في الفكر والتطبيع الأخلاقي المثالي ، وبعيدا عن الحالة المثالية هذه ، تكون السلطة معبرة عن مصلحة الناخبين للقابعيين عليها

في أنظمة الحكم الديمقراطية ولو بشكل نسبي، على اعتبار إن ممثلي الشعب المنتخبين هم من يضع القوانين والقواعد لخدمة أهدافهم .

السلطة ظاهرة القوة المتفوقة :

السلطة هي امتلاك قوة نظامية من أجل السيطرة، وهي في الروابط الاختيارية قيادة نظامية تقوم على الإقناع، وفي الروابط الأختيارية قوة نظامية تقوم على القهر، وينعكس هذا في تفاعلات العلاقات الدولية، فأن سيطرة الأقوى من الدول على الأضعف منها ينتج ممارسة الإكراه في تنفيذ الأوامر الصادرة من الدول القوية على الدولة الضعيفة بعد امتلاك الدولة صاحبة التفوق المعمم في عناصر القوة الشاملة العسكرية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية و العلمية والمعلوماتية والإعلامية وتسعى الدول الكبرى المهيمنة على مسارات عمل النظام الدولي في توظيف الدول الضعيفة لتنظيم توازنات القوة في الأقاليم على أسس وسلطات محلية تضمن بقاء هيمنتها ومصالحها، وقد تكتفي القوى العظمى بالفعل الدبلوماسي أو الاقتصادي أو السياسي أو قد تزداد عمليات التسلط بتواجد قواعد عسكرية رادعة.

القوة والسلطة العالمية " البوابة الكبيرة للتدخلات في شؤون الدول الضعيفة":

تعددت تعريفات مفهوم القوة تبعا لوجهة نظر صاحبها وفهمه لطبيعة علاقات القوة، فقد عرفها ماكس فيبر " القوة هي القدرة التي يمتلكها الفرد في ضوء العلاقات الاجتماعية والتي تجعله في حالة يستطيع معها إن يحقق رغباته بغض النظر عن مقاومة الآخرين أو رفضهم ، والقوة عند رانسل هي الناتج عن امتلاك القدرة على التأثير ، والقوة في الفكر الماركسي مرتبطة بقدرة الطبقة على تحقيق مصالحها الموضوعية المحددة في جميع مناطق العالم ، والمفهوم الرأسمالي البسيط لعناصر القوة في العلاقات الدولية يعرفه انه " المزاياء والقدرات والموارد المتاحة للدولة والتي تميزها عن الآخرين، ويشمل الموقع الجغرافي والموارد البشرية المؤهلة ومستوى التنمية والمنظومات الأخلاقية والموارد الطبيعية كالأرض والمياه والغابات والأشجار والثروات الحيوانية والمعادن ، ويؤكدون إن المجتمعات الرأسمالية الغربية هي الوحيدة القادرة بتوظيف هذه العناصر بالشكل الذي يؤهلها للسيطرة على العالم بسبب فضاء الحريات والحقوق الذي يوفره النموذج الحضاري في الأنظمة السياسية الغربية وتفتقد إليه الأنظمة السياسية الشيوعية أو الاستبدادية والدكتاتورية الأخرى (٣) . فالقوة العالمية هي سياق تاريخي لتطورها من المحلية إلى الإقليمية فالعالمية ، وهي ظاهرة تاريخية منذ ظهور الإمبراطورية الرومانية

قبل الميلاد والقرون الأولى والإمبراطورية الصينية ، وقيام الإمبراطورية العربية الإسلامية في القرن السادس الميلادي حتى تاريخ سقوط بغداد ١٢٥٦ وقيام الإمبراطورية المغولية ثم العثمانية التي سقطت بعد الحرب العالمية الأولى .

بدأت القوة العالمية الإمبراطورية في العصر الحديث من القرن السادس عشر الميلادي حتى القرن العشرين، وتمكنت الدول الأوروبية المتشاطئة الغربية من أوروبا في تكوين قوة عابرة للأطلسي للسيطرة على قارة آسيا وأفريقيا والأمريكيتين، وأكملت سيطرتها العالمية بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى بالسيطرة على الشرق الأوسط وممتلكات الدولة العثمانية المنهارة ، وشكلت بريطانيا لوحدها أكبر جزء من القوة الأوروبية بعد سيطرتها على (٣٤) أربعة وثلاثون مليون كيلومتر مربع خارج حدودها في العالم (٤)

التوسع من خلال القوة لفرض السيطرة والإدارة على مناطق العالم يحتاج إلى إرادة لاستخراج التأثير المطلوب منها وتحتاج إلى القيادة لتجديدها والى فن الاختيار الزمني والمكاني لوسائلها المتنوعة ، فلا يمكن الاعتماد على وسيلة واحدة من الوسائل التي تتكون منها القوة الشاملة في تحقيق التأثير المطلوب أو التغيير المخطط له في البيئة الدولية ، والهيمنة على سياساتها الدولية، فقد تقضي الوسيلة الدبلوماسية أو الوسيلة الاقتصادية إلى تحقيق الأهداف بشكل أسرع وأدق من الوسيلة العسكرية، أو قد لا تستطيع الوسيلة العسكرية من تحقيق الهدف دون تكاملها مع الوسيلة الدبلوماسية وقد يتطلب الأمر تدعيماً مضاف من قبل القوة السياسية والإعلامية، وبذلك تكون القوة المطلوبة بموجب المنطق والمعياري الجيوستراتيجي لإدارة السلطة العالمية هي قوة تتجاوز العامل الأحادي إلى تكامل وتفاعل وتناغم جميع عناصر القوة الشاملة. فالقوة علاقة تفاعل وتأثير ما بين الاقتدار والإفصاح عنه واستخدامه وتجديده وليس امتلاك ترسانة من الأسلحة التقليدية وفوق التقليدية وأسلحة الدمار الشاملة فقط (٥)

أنماط القوة المطلوبة لإدارة السلطة العالمية:

- ١- نمط القوة الانفرادي، فتعتمد الدولة على مقدراتها فقط في الدفاع عن نفسها . والتأريخ يحدنا عن ندرة تكرار مثل هذا النمط .
- ٢- نمط القوة المتحالفة وتوظفها الدولة للدفاع عن نفسها وعن الدول التي تحالفت معها. وهذا النمط ثبت نجاحه بعد اتفاقية وستفاليا ١٦٤٨ م .
- ٣- نمط قوة نظام الأمن الجماعي، وهي تحالف قوي عالمي تديره وتوجهه القوى الدولية والقوانين الدولية والمفاهيم الانسانية ، وهو نمط غالبا ما يوظف لخدمة النمط الثاني

٤- نمط القوة الذي يأخذ بناء فدرالي عالمي تكون السلطة فيه لحكومة عالمية متكونة من روافد هذه القوة العالمية، وقد تدعم هذه القوة ببناء مؤسساتي قانوني دولي ومن منظمات دولية مع بناء مؤسساتي قضائي واقتصادي وإعلامي وسياسي وثقافي وبيئي^(٦). كما هو حال حلف الناتو وحلف واشو الذي تفكك عام ١٩٩٠. وللسلطة العالمية أنصارها لما توفره من ضمانة للسلم العالمي.

السلطة العالمية والمرتكزات الفكرية للهيمنة الغربية :

الغرب يصدر فكرة إلى العالم مفادها أن الحضارة الإنسانية المعاصرة هي إنتاج المجتمعات الغربية الرأسمالية الليبرالية الديمقراطية، وان المسؤولية الإنسانية تقضي بنشر هذه الحضارة إلى دول العالم لاسيما إلى الشعوب المتخلفة في آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية ، واقترن هذا الغطاء الفكري لتغطية الظاهرة الاستعمارية في القرن السابع عشر، وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية حيث اخذ الصراع الدولي على تقاسم مناطق النفوذ لتقاسم المشاركة في إدارة السلطات العالمية يستغل بعباءة رسالة المجتمع الحر بقيادة الولايات المتحدة لتخليص شعوب العالم من الستار الحديدي الذي فرضته عليهم الشيوعية العالمية لتنتزع منهم حريتهم وحقوقهم الإنسانية ، وبعد الزلزال السوفيتي وانهيار الشيوعية العالمية وانتصار المعسكر الرأسمالي الليبرالي الديمقراطي الذي طرح المركزية الحضارية الغربية ومسؤوليتها في نشر الديمقراطية بشكل متسارع اثر تفرد الغرب في إدارة السلطة العالمية و بالرغم من الرؤية التي طرحها فرانسيس فوكياما " نهاية التاريخ " التي تحمل الكثير من المثالية للرأسمالية التي تجاهلت وقع الجغرافية السياسية ، فهي جاءت متفجرة بشكل كبير مع رؤية اوزولدسبغلر في كتابه التشاؤمي لمستقبل الرأسمالية^(٧) انحطاط الغرب عام ١٩١٨ " والانحطاط عنده نتيجة إهمال الغرب للجانب الاعتباري للحضارة وتركيزه على الجانب المادي فيها، واعتبر إن موت الغرب حتمية تاريخية ولم ينتبه إلى الجوانب الايجابية في تفوقه على الشرق، وان التداخيات الاقتصادية والسياسية والعسكرية والعلمية عند بعض الأمم ولا تقضي دائما إلى موت الأمم .

إن نظرية التحدي والاستجابة التي أطلقها العالم اونولد توينبي" التي تعطي الأهمية للوقائع الجيوسياسية في بقاء وتقدم الأمم ، قد استجابت إليها هذه الأمم المنهزمة ومنها الأمة الصينية والروسية والألمانية واليابانية وحتى الهندية وهي تقف اليوم كخصوم أنداد للمكانة العالمية الأولى للولايات المتحدة في إدارة السلطة العالمية^(٨). فبعد أن استطاعت هذه الأمم في توظيف العلم والعمل بموجب المبادئ البرغماتية وبالاستناد إلى نظام اجتماعي متماسك وفاعل والاعتماد على الرؤية الواقعية للجيوسياسية الجديدة مرشدة القادة وعلم الحيز الجغرافي الذي يتفاعل فيه الشعب بعيدا عن

فوضى وضبابية البعد التاريخي وقصور المنهج الاقتصادي . فالحروب العالمية غالباً ما تفرز قوة عالمية تكون المنتصرة فيها لتصبح مهيمنة على السلطة العالمية وتعمل على تشكيل هيكلية النظام الدولي بموجب تحالفاتها مع الدول أثناء الحرب وبعده ، ونجد هذا المعيار في الحروب النابليونية ١٨٠٣-١٨١٤ والحربين العالمين الأولى ١٩١٤-١٩١٨ والثانية ١٩٤٠-١٩٤٥، كلها كانت تحمل نوايا غير معلنة هي اقرب إلى الحقيقة من النوايا المعلنة. والنوايا المعلنة غالباً ما ترتكز على المثالية الحضارية الإنسانية ومقاصد ومبادئ ميثاق الأمم المتحدة والقانون الدولي، والنوايا غير المعلنة ترتكز على الأسس الفكرية للقوة والمنطق الجيوستراتيجي في الاستحواذ على مناطق النفوذ في العالم لقيادة أو للعب الدور المؤثر في النظام الدولي من خلال قيادة أو المشاركة الفاعلة في إدارة السلطة العالمية ويبقى الدافع الجوهري هو الاستحواذ على السلطة العالمية من خلال السيطرة على اكبر رقعة جغرافية حيوية في العالم (ومن هنا يدخل العراق في قضية الصراع من اجل الاستحواذ على السلطة العالمية). هو المداخل الرئيس للتأثير على اقتصاديات وامن الدول وإجبار الخصوم (٩) .

التدخلات في شؤون الدول الضعيفة طبقاً لنظرية التوازن و الصراع الدولي :

العراق مثله مثل اغلبية دول العالم الثالث وقع فريسة تقاسم الغنائم على وفق اعادة التوازن بين الدول الاقوى منه، وتغيير وسائل وقواعد ادارة الصراع الدولي ، الذي هو ظاهرة ديناميكية متناهية التعقيد وهي تشكل الثبات في العلاقات الدولية، حيث يشكل التعاون والتنافس الاستثناء فيها، وتزداد حدة التصارع مع ازدياد حجم التغيرات في إجماع ونوعية القوة لدى الأطراف الدولية مع تغير الأهداف والمصالح والإرادات والقيادات السياسية ، فتظهر أدوات الصراع لتحافظ على الوضع الراهن لدى البعض ، ولتغير الوضع الراهن لدى البعض الآخر مثل "الضغط - الحصار - الاحتواء - التهديد - العقاب - التفاوض - التساوم - الإغراء - التنازل.... الخ ، وكلها تهدف إلى إحداث تغيير في التوازن لصالح القوة التي حققت التغيير لصالحها (١٠) .

الاستخدام الاستراتيجي لهذه الأدوات من اجل تحقيق هدف تغيير التوازن لهذه القوة أو تلك يقوم من خلال توظيف وسائل ايدلوجية وسياسية وجيوبوليتيكية وقانونية ، أو من خلال خلق أزمات قد تقضي إلى اندلاع حروب أو تنتهي إلى إجراء مباحثات تضع مبادئ لاتفاق جديد يستوعب التغيير في ميزان القوة لصالح الدول الأقوى عند إجراء التفاوض بعد اندلاع الأزمة . إن سباق التسلح قد يفضي إلى امتلاك قوة ما سلاحاً استراتيجياً في تأثيره يبدل من ميزان القوة لصالحها ، كما حدث عند احتكار الولايات المتحدة للسلاح النووي للفترة من ١٩٤٥ - ١٩٥٠ فكانت فيها القوة الأعظم حتى

تمكن الاتحاد السوفيتي من امتلاك السلاح النووي الاستراتيجي عام ١٩٥٠ ليعيد توازن القوة لصالحه مع الولايات المتحدة الأمريكية. وتسعى الدول إلى التوازن في قوتها في جميع المضامين السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية، فالصراع من اجل القوة هو الكفيل بتحقيق التوازن تلقائيا وذلك لان الصراع يجري بين دول من مصلحتها ان تحافظ على الوضع الراهن ، وبين دول أخرى تتشد تغييره (١١).

ثانياً: العراق في ظل تدخلات القوى الدولية في القرن العشرين

يرتبط مفهوم توازن القوى بمفهوم توازن المشاركة في ادارة السلطة العالمية للقوى العظمى المهيمنة على النظام الدولي ، ويمكن بذلك محاكاة نيوتن في التوازن الطبيعي ، استقرار التوازن في الطبيعة يحافظ على استقرار الحياة فيها، وان اختلال هذا التوازن نتيجة سيطرة وطغيان عنصر على عنصر أو عناصر على عناصر أخرى يهدد الحياة في الطبيعة، لأنه سيفرز نتائج تلحق إضراراً ومتغيرات لصالح أو ضد هذا الطرف أو ذلك، واطر ما في هذه الإضرار أو المتغيرات هو غياب السيطرة على وسرعتها واتجاهاتها ونتائجها .

وتوازن القوى يضع قواعد تنظم سلوك قادة الدول في علاقاتهم الدولية ، وحاول العراق من خلال تحالفاته في تشكيل حلف بغداد عام ١٩٥٥ من لعب دور القوة الإقليمية المتحالفة مع القوى الأعظم في العالم " بريطانيا وفق معاهدة ١٩٣٠ لإحداث توازن القوى مع الدول المتحالفة في المنطقة مع القوة العظمى المنافسة لها " فرنسا " وأيضاً لإيجاد نظام إقليمي يمنع تغلغل النفوذ الروسي والأمريكي في الشرق الأوسط (١٢) .

أتمم العراق قبيل الحرب العالمية الأولى بأنه كيان سياسي مكون من ثلاث ولايات هي بغداد ، والبصرة والموصل ، فاستغلت القوى الدولية حاجة الدولة العثمانية صاحبة السيادة بموجب القانون الدولي آنذاك على العراق للمساعدات الأوربية في سياسة التغلغل لبناء مرتكزات نفوذ لها في هذه الولايات ، على شكل امتيازات تحت ذرائع مساعدة أهل الأديان من غير المسلمين. وتوظيف أهمية موقع البصرة المطل على الخليج العربي وموقع بغداد الرابط ما بين العمق الإسلامي العربي مع غرب آسيا غير العربي شرقاً والعمق الاستراتيجي لجنوب تركيا المتصلة بالقارة الأوربية شمالاً، فالعراق كان يشكل أهمية في خطوط المواصلات البرية والنهرية مع شمال افر يقيا واسيا وجنوب أوربا عبر تركيا (١٣).

العراق والمشروع البريطاني لتوازن القوى في الشرق الأوسط :

بالنظر لتصدع القوة البريطانية الشاملة وانعكاساتها في تراجع دعم حلفائها في العالم ، أعطت مساحات أوسع من الحرية في العمل والمبادرة لهم في عمليات بناء التوازنات الإقليمية داخل إطار مصالحها الحيوية ، فجاء تحرك العراق في إنهاء معاهدة ١٩٣٠ مع بريطانيا وإقامة تعاون استراتيجي مع تركيا " ميثاق التعاون بين تركيا والعراق " في ٢٤ / ٢ / ١٩٥٥ فانضمت بريطانيا وإيران وباكستان مع الميثاق ليشكلوا حلف بغداد من أجل قيام توازن إقليمي يساهم في بناء نظاما بالمنطقة لصالح المعسكر الغربي الذي تجتهد الولايات المتحدة الأمريكية في انتزاع القيادة فيه جراء التفهق المتصاعد للقوة الفرنسية والبريطانية ضد تغلغل النفوذ للمعسكر الشيوعي بقيادة الاتحاد السوفيتي في المنطقة (١٤) .

العراق في فترة اضطراب توازن القوى في الشرق الأوسط بعد عام ١٩٥٧ :

فقدت بريطانيا مكانتها السياسية في الشرق الأوسط بعد فشل العدوان الثلاثي على مصر التي خرجت منه كقوة إقليمية لها دور مؤثر في التوازن الإقليمي والدولي سائرة للتحالف مع إحدى القوتين العظميتين اللتين تشكلان توازنا في النظام الدولي العالمي ، في ٥ / ١ / ١٩٥٧ تقدم الرئيس الأمريكي إيزنهاور بمشروع إلى الكونغرس للمطالبة باتخاذ قرار بشأن السماح عند الضرورة باستخدام القوات المسلحة الأمريكية في الشرق الأوسط لمنع الاتحاد السوفيتي من القيام بأي عمل عدواني في هذه المنطقة^(١٥) . وجاء التحرك الأمريكي مع البدايات الأولى لتشكيل حلف بغداد ١٩٥١ ، حين تقدمت الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ، بعد إلغاء مصر معاهدة التحالف والدفاع المشترك المعقودة بينها وبين بريطانيا في عام ١٩٣٦ ، بمشروع يهدف إلى إقامة منظمة عسكرية جماعية دفاعية ، إلا إن معارضة مصر للاقتراح أدت إلى تجميده ، ثم التخلي عنه نهائياً ، وكان هدف السياسة الأمريكية من إنشاء هذا الحلف آنذاك هو احتواء الاتحاد السوفيتي من أجل تحقيق ذلك الهدف سعت الولايات المتحدة الأمريكية ، لتجميع الدول المجاورة للاتحاد السوفيتي لتشكيل طوق مضاد له ، وكإجراء تنفيذي مبدئي عقدت تركيا وباكستان ميثاقاً دفاعياً بينهما في آب عام ١٩٥٤ ، وأعقب ذلك التوقيع على الميثاق التركي . العراقي في شباط ١٩٥٥ ، وقد تركت المادة الخامسة من هذه المعاهدة التركية . العراقية الباب مفتوحاً أمام الدول الأخرى ، التي ترغب في الانضمام إليها والتي يعينها الدفاع عن السلم والأمن وتلا عقد الميثاق انضمام بريطانيا إليه في نيسان ١٩٥٥ ، ثم باكستان في تموز ١٩٥٥ ، ثم إيران في تشرين الأول ١٩٥٥ ، وأصبح هذا التحالف معروفاً بحلف الولايات المتحدة الأمريكية التي

كانت تدرك إن إسرائيل ليست بالقوة الإقليمية التي تمتلك القوة والافتتار وقتذاك لتعتمد عليها في حماية مصالحها الحيوية ، فعمدت إلى بناء مرتكزات لقوى إقليمية معها في تركيا وإيران لحين بناء قوة إقليمية عربية مضمون تبعيتها الدائمة للهيمنة الغربية تشكل مع القوى الأخرى توازن يحقق حالة الاستقرار وفق المنظور الغربي لحماية وتطور مصالحه في المنطقة . العراق وافق على مشروع إيزنهاور خاصة بعد عرض المندوب الأمريكي على العراق مساعدات لتعزيد القوة الأمنية والعسكرية بعد عجز بريطانيا عن استمرار دعمها ومساعدتها للحكومة العراقية في بناء قوة قادرة على الدفاع ضد التهديدات الخارجية الإقليمية ، وصناعة الفرصة لبناء دور إقليمي مؤثر للعراق^(١٦) . انعكاس أهداف المشروع الأمريكي في العراق على توازن القوى في المنطقة.

العراق في المشروع الأمريكي لتوازن القوى في الشرق الأوسط بعد ضعف الدور الأوربي:

بعد نجاح نظام التماسك الاجتماعي للمهاجرين سكان الولايات بعد انتهاء الحرب الأهلية الأمريكية ١٨٦٥-١٨٦٠ بتحالف الجنوب الزراعي مع الشمال الصناعي التجاري وبناء دولة تكون عناصر قوة اقتصادية وسياسية وعسكرية استطاعت بسلطة نظامها السياسي من بسط سيطرتها على كامل أمريكا الشمالية بعد طرد الاستعمار البريطاني والفرنسي منها ، واستمر تكوين القوة المحلية يتضاعف حتى استطاعت الولايات المتحدة الأمريكية من طرد النفوذ الأوربي من كامل قارة أمريكا الجنوبية والانتصار في معاركها في المكسيك . إن فيض القوة الشاملة الأمريكية المستمر في التدفق خارج الحدود الأمريكية إلى كامل القارتين الأمريكيتين حتى اعترفت أوروبا والعالم بالهيمنة الأمريكية عليهما بموجب مبادئ الرئيس مونرو التي أعلنها عام ١٨٢٤ . وبعد تراكم القوة الأمريكية التي وجدت فرصتها التاريخية بالإفصاح عنها اثر تراجع حجم القوة الأوربية وخاصة في بريطانيا وفرنسا وألمانيا بعد الخسائر الكبيرة البشرية والمادية خلال الحرب العالمية الثانية ، وبعد إن ترك هذا التراجع فراغا واسعا في معظم مناطق العالم وخاصة الحيوية منها ، اندفعت القوة الأمريكية لتملئ الفراغ وتحقق سلطة أمريكية خارج إطار الأمريكيتين إلى القارات الأخرى ، وبعد إن واجهت القوة الأمريكية القوة الندية الموازية لها من الجانب الشيوعي بقيادة الاتحاد السوفيتي حدث توازن للقوى ما بين الطرفين وتقاسما السلطة العالمية حتى نهاية الحرب الباردة بينهما عام ١٩٩٠^(١٧) .

وشهد العصر الأمريكي الذي امتد منذ انتهاء الحرب الباردة وانهيار المعسكر الشيوعي لغاية نهاية العقد الأول من القرن الحادي والعشرين محاولات منها نجحت وأخرى تلكأت لتوظيف الأمم المتحدة

والقانون الدولي والشعارات الإنسانية لحقوق الإنسان والحريات العامة والخاصة من أجل تدعيم سلطة الولايات المتحدة على العالم ، ناهيك عن الأشواط الكبيرة التي قطعتها العولمة الاقتصادية في هذا المجال كأداة اقتصادية أسهمت في ترتيب سلطة رأسمالية أمريكية على اقتصاديات دول العالم . إن الانتشار العسكري الأمريكي في معظم دول العالم (في ١٥٦ دولة من مجموع ١٩٣ دولة) باتفاقيات عسكرية وأمنية متنوعة (اتفاقيات سوبا SOFA)^(١٨) مع وجود قيادات عسكرية شمالية ووسطى وجنوبية في العالم وانتشار كثيف وواسع لأساطيل بحرية عسكرية في جميع المحيطات والبحار بالشكل الذي يتفوق على مثيلاتها في دول العالم الأخرى دعم سلطتها العالمية ، كما إن إملائها فراغ السلطة في معظم دول المعسكر الشيوعي المنهار عام بعد عام ١٩٩٠ وخاصة في دول بحر البلطيق وأوربا الشرقية مثل جورجيا وبولندا وهنكاريا ورومانيا وأوكرانيا ودول آسيا الوسطى الغنية بالموارد الطبيعية مثل أذربيجان وقرغستان وطاجكستان وأوزبكستان وارمينيا ودويلات الاتحاد اليوغسلافي المفكك السابق ناهيك عن تواجدها العسكري الدائم في أفغانستان (رغم غياب الاستقرار فيه) إضافة إلى التواجد السياسي والعسكري في الخليج العربي والبحر العربي ، وتواجدها في البحر الأحمر من خلال اتفاقيات التعاون مع مصر وإسرائيل . ناهيك عن هيمنتها على قيادة حلف شمال الأطلسي المعني بالأمن الأوربي من خلال ترابطه بالأمن العالمي. والإشراف الأمني والاقتصادي على دول أمريكا الشمالية والجنوبية والدول الخاضعة للرعاية الأمريكية بواسطة اتفاقيات النافتا واتفاقيات منظمة الدول الأمريكية التي تم إنشائها عام ١٩٤٨ التي عززت مبدأ مونرو المعلن عام ١٨٢٠ والقاضي بانفراد الولايات المتحدة بالنفوذ والهيمنة على كامل القارتين الأمريكيتين^(١٩) .

نتائج إحلال النفوذ الأمريكي محل النفوذ البريطاني في العراق:

رتبت عمليات خروج دول المنطقة من المظلة البريطانية إلى المظلة الأمريكية نجاحات في دول وإخفاقات واضطرابات في دول أخرى ، فدول الخليج العربي والتي يطلق عليها حاليا بدول مجلس التعاون الخليجي من العربية السعودية والكويت والإمارات والبحرين وقطر وسلطنة عمان تم استبدال النفوذ بطريقة سليمة بيد إن الولايات المتحدة لم تستطع بناء قوة إقليمية من بين هذه الدول لأسباب موضوعية تتعلق بميزات عناصر قوتها الشاملة ، ولاكتها استطاعت إن تستعيز عنهم بالقوة الإقليمية الإيرانية، وفشلت عمليات استبدال النفوذ في العراق واليمن ومصر والسودان وسورية بسبب تفرد المؤسسات العسكرية فيهم بهامش دور سياسي مستق نسبيا جراء ضعف الإشراف المركزي البريطاني والأوربي عموما عليها ، فدخلت المنطقة في عصر الفوضى والاضطرابات السياسية حتى

عجزت عن بناء نظام إقليمي عربي فاعل يعوض نظاما إقليميا معتمدا على الدعم من الغرب والارتباط معه (٢٠).

العراق في المشروع السوفيتي لتوازن القوى بعد ثورة ١٩٥٨ :

أذيع البيان الأول لانتقال الجيش العراقي في صباح يوم الاثنين المصادف ١٤ / ٧ / ١٩٥٨ وهو يتضمن إعلان التمسك بالوحدة العربية والتعاون مع الأقطار العربية " وخاصة مصر " ، وكانت الإشارات الواضحة منه إن العراق سيدخل في المحور العربي بقيادة مصر ضمن القوة الإقليمية ، وسيشكل هذا رجحانا للقوة العربية في التوازنات الإقليمية ضد المصالح الغربية بيد أن السنين اللاحقة للانتقال بينت من خلال السلوك السياسي لقائه " عبد الكريم قاسم " وإدارته إن العراق سائر في اتجاه تدعيم النفوذ السوفيتي في المنطقة ضد مشروع الأمريكي الغربي وضد المشروع العربي الإسلامي لتوازن القوى في الشرق الأوسط ، فأصبح العراق ساحة لتصارع إرادات المشاريع السوفيتية - والغربية - والعربية - والإسلامية، رتبت نتائجها شلل الدور العراقي المحلي في البيئتين الإقليمية والدولية (٢١)

انعكاس تدخلات المشروع السوفيتي في العراق حقبة الحرب الباردة:

اعتبر الاتحاد السوفيتي العراق أهمية جيوسراتيجية مرتبطة بالأهمية الجيوسراتيجية للشرق الأوسط التي يشكل التواجد فيها والتعاون مع دولها في قضايا الأمن والسياسة والنفط ميزة للقوة السوفيتية تجاه القوة الأمريكية في صراعها التاريخي . والتواجد السوفيتي في العراق يشكل تهديدا مباشرا للمصالح الأمريكية ولأمن حلفائها الرئيسية إسرائيل ، ومن هنا جاءت ردود الأفعال من قبل الغرب عموما ومن الولايات المتحدة وحلفائها في المنطقة خصوصا اقوي مما يستطيع العراق احتماله والرد عليه فضاء دوره في خضم هذا الصراع العالمي (٢٢).

العراق وتوازن القوى الإقليمية بعد حرب ١٩٦٧ :

إن حرب عام ١٩٦٧ بين بعض الدول العربية، وإسرائيل غير موازين القوى في الشرق الأوسط لصالح إسرائيل على حساب تقليص مساحات القوة والنفوذ لمصر بمعنى على حساب تقليص مساحة تدخلات قوة إقليمية عربية في الشؤون العراقية .

انعكاس انتصار مشروع التحالف الأمريكي الغربي - الإسرائيلي بعد حرب ١٩٦٧ في تعاضم التدخلات الأمريكية في الشؤون العراقية. وانعكس هذا الضعف على انحسار النفوذ السوفيتي في المنطقة. وكثفت الولايات المتحدة الأمريكية نشاطاتها في تدعيم الإستراتيجية التي تخدم تحقيق

مصالحتها في : ١- النفط ٢- حماية مصالحها الجيوستراتيجية والاقتصادية والسياسية - امن وسلامة إسرائيل ٣- امن وسلامة الأنظمة الحليفة (٢٣) .

التجربة الاولى في بناء قوة عراقية ذاتية:

خلال الفترة ١٩٦٨-١٩٨٠ اجتهد العراقيون في بناء قوة ذاتية في عناصر القوة العسكرية والقوة الاقتصادية والاجتماعية افضى الاجتهاد الى بروز قوة شاملة متميزة اقليمياً لكنها غير قادرة على حماية نفسها من تدخلات القوى العظمى . ولم تحسم امر التفوق على القوى الاقليمية الاخرى "إسرائيل والقوى الشرق أوسطية الأخرى كإيران وتركيا أو دول الخليج العربي والسعودية ، وسرعان ما عاد العراق الى الضعف المعمم نتيجة الحروب الاقليمية التي خاضها مع وجود اضطرابات سياسية داخلية تعيق عمليات التنمية والتطور (٢٤).

تداعيات حرب الخليج الاولى ، والثانية على العراق:

شكل استنزاف القوة العراقية الشاملة في حرب الخليج الأولى بين العراق وإيران استنزافاً للقدرات المتاحة وللقدرات الكامنة على صعيد الزماني القريب لكلاهما. وعند انتهاء الحرب بينهما عام ١٩٨٨ تفرغت إيران لإعادة بناء نفسها وتعويض قواها ، بينما اتجه العراق إلى التدمير المتواصل لما تبقى من قواه في حرب الخليج الثانية مع جيوش التحالف الدولي التي جاءت لتحرر الكويت من الاحتلال العراقي لها بموجب قرارات مجلس الأمن الدولي والمنظمات الإقليمية والدولية الأخرى . وبذلك تعاضمت المخاطر والتهديدات التي تحيط بالعراق وتراجعت بشكل ملحوظ جميع فرص الدور الإقليمي الفاعل له. وجاءت حرب الخليج الثانية لتفصح للعالم عن تبوء الولايات المتحدة امتلاك إدارة السلطة العالمية ، وكان احتلال العراق رادعا لجميع دول العالم في عدم الوقوف أمام طلبات واشنطن (٢٥).

ثالثاً: العراق في ظل متغيرات القرن الحادي والعشرين

العراق في ظل مشروع القرن الأمريكي فترة العقد الاول من القرن العشرين:

استغل اليمين المتطرف قضية احتلال العراق والإطاحة بصادم حسين لفرض تصوراتهما عما أسماه الشرق الأوسط الكبير الذي يقوم على إعادة صياغة كاملة للخريطة الجيوسياسية للوطن العربي تتضمن الإجهاز على ما تبقى من بقايا النظام الإقليمي العربي (Territorial) وتذويب الحضارة العربية وثقافتها في إطار أوسع يمتد من بحر قزوين شرقاً إلى القوقاز شمالاً إلى المغرب غرباً،

واعتبرت السيطرة على هذه الرقعة الجغرافية من قبل الولايات المتحدة الأمريكية وحليفاتها إسرائيل هو هدف من اجل غاية احتواء الإرهاب والتطرف وانتشار أسلحة الدمار الشامل والهجرة الغير شرعية ونشر" عمليات التغيير الممهدة بغطاء نشر الديمقراطية والحريات والحقوق الإنسانية لتطبيق الاستراتيجيات لاستيعاب النظام الدولي المرتقب .

الشراكة الشرق أوسطية :

اقترح الرئيس "جورج بوش الابن" في خطاب ألقاه بجامعة كارولينا الجنوبية عام ٢٠٠٢ رغبة إدارته " إقامة منطقة تبادل تجاري حر بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط في غضون عقد من الزمن) وتوالت التصاريح على اعتبار إن مشروع شراكة الشرق الأوسط (MEPI) ضرورة من ضرورات الأمن القومي الأمريكي ، وان الجهة المشرفة عليه هي وزارة الخارجية الأمريكية وما هي الحرب على العراق إلا الحلقة الأولى من مسلسل تشكيل الشرق للأوسط الكبير ، وفي يوم ١٠ /٧/ ٢٠٠٢ استمع أعضاء المجلس الاستشاري لسياسة الدفاع الأمريكية مطولا إلى حديث "ريتشارد بيرل" عن تخلف الثقافة الإسلامية وضرورة إنهاء هذا الالتفاف الإسلامي حول مكة المكرمة باعتبارها نواة تجمع العالم الإسلامي ويجب تدميرها ! أهداف المشروع المعلنة هي أهداف اقتصادية استثمارية ، وسياسية تتعلق بمساعدة الشعوب على بناء الأنظمة السياسية الديمقراطية، وتربوية وقانونية وأخرى متعلقة بحقوق المرأة . وجاءت الأهداف المعلنة لتوائم تقارير الأمم المتحدة حول مشاريع التنمية المقترحة في العالم العربي لإعطاء الصبغة الدولية القانونية لنوايا واشنطن في الهيمنة على كامل مناطق الشرق الأوسط لخدمة استحوادها على السلطة العالمية (٢٦) .

ولادة مشروع الشرق الأوسط الكبير :

اعد مشروع الشرق الأوسط الكبير GMO على هامش مؤتمر قمة الدول الثمانية الأكثر غنا وتصنيعا في العالم في جزيرة سي اسلاند بجورجيا عام ٢٠٠٤ ومن أهم المقترحات بناء الديمقراطية في العراق كمرتكز تنطلق منه العمليات اللاحقة لبناء الديمقراطية في دول المنطقة وإطفاء الديون من الدول الأعضاء عليه وطلب مساعدة جيوش الحلف الأطلسي المساعدة في العراق لجيوش التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية لأداء هذه المهمة . فهو مشروع معد من قبل الدول الثمانية الأكثر غنا في العالم ، ويتكون برنامج المشروع من مقدمة وثلاث عناوين وبعد المقدمة تتوالي الإحصائيات المروعة التي تصف الوضع المحلي في المنطقة العربية ، ومنها :

- ١- إجمالي الدخل المحلي في جامعة الدول العربية (League Arab) أقل منة في اسبانيا .
 - ٢- ٤٠% من العرب البالغين أميون وتشكل النساء ثلثي هذا العدد .
 - ٣- من المتوقع إن يكون في المنطقة ٢٥ مليون عاطل عن العمل بحلول سنة ٢٠١٠ .
 - ٤- في إمكان ٦ ، ١ % فقط من السكان استخدام الانترنت.
 - ٥- لا تشغل المرأة سوى ٣% من المقاعد البرلمانية .
 - ٦- وجود نسب عالية لرغبات الشباب للهجرة إلى البلدان الأوروبية والأمريكية (٢٧) .
- ويضع المشروع حلولا في ثلاثة فصول الأول يتعلق بتشجيع الديمقراطية ، والثاني يوضح مخطط مشاريع العمل والاستثمار والثالث حول بناء المجتمع المعرفي العلمي ، وكلها أغطية إعلامية لهدف السيطرة على المنطقة وبناء نظام إقليمي بمقاييس أمريكية أوربية بتوازن القوة بالشكل الذي يخدم مصالح الغرب وإسرائيل قبل كل شيء

العراق بوابة التغيير الأمريكي في المنطقة :

- شكلت الأهمية الجيوبوليتيكية للعراق إن يكون بوابة التغيير لبناء بيئة إستراتيجية جديدة تخدم الأهداف الأمريكية في المنطقة والعالم ، وتتلخص هذه الأهمية في :
- ١- التغيير السياسي في العراق يجب إن يعقبه تغييرات سياسية في المنطقة وسيكون العراق قاعدة تقدم الدعم اللوجستي لإحداث هذه التغييرات.
 - ٢- تطبيق الديمقراطية في العراق يجب إن يكون الغطاء السياسي والإعلامي لاستقطاب التغييرات في المنطقة .
 - ٣- مكافحة الإرهاب الدولي يجب إن يكون من مهام الرئيسية الأولى للنظام السياسي الجديد في العراق والأنظمة السياسية الأخرى في دول المنطقة لبناء تحالف استراتيجي عسكري امني بقيادة الولايات المتحدة لمحاربة الإرهاب ورموزه في المنطقة (محور الشر) .
 - ٤- بناء قواعد عسكرية وحكومات موالية لواشنطن في المنطقة .
 - ٥- العمل مع الحلفاء الجدد والقدامى من اجل منع انتشار نفوذ أية قوة عالمية صاعدة من منافسة القوة الأمريكية لإدارة السلطة العالمية (٢٨) .

فشل التطبيق الاستراتيجي للمشروع الامريكى في العراق:

انتشار الفوضى السياسية والايولوجية العنصرية والمذهبية في الشرق الأوسط وعدم مقدرة واشنطن السيطرة عليها في الاتجاه الذي رسمته لها (تقنيت مجتمعات الملل من اجل احتلالها والسيطرة عليها) وأصاب التطرف المصالح الأمريكية بالصميم من خلال خلق عدائية لها ولنموذجها العالمي ، وكان للتحالف الإيراني السوري مع حزب الله ومنظمة حماس والقوى السياسية المتحالفة معهم داخل العراق وخارجه دورا مهما بهذا الصدد .كما أن ظهور العجز الأمريكي في احتواء التمدد الروسي الجديد في أوروبا الشرقية وانتصاره في أزمة جورجيا واجتياح قوتها في ٨ أغسطس ٢٠٠٨ على جنوب اوسيتيا لتعلن قيادتها لأهم نظام إقليمي في أوروبا (٢٩). ويضاف لذلك عجز الجهود والضغوط الأمريكية في ثني كوريا الشمالية عن استمرارها في تجاربها النووية وامتلاكها السلاح النووي والقيام بتجارب التفجير النووي واضعة واشنطن والعالم أمام صورة جديدة للعجز في إدارة السلطة العالمية تضاف إلى صورة العجز في إنهاء الصراع العربي الفلسطيني - الإسرائيلي بقيام الدولة الفلسطينية مقابل وجود دولة إسرائيل . وان فشل الإدارة الأمريكية في تطبيق قراراتها وقرارات المنظمات الدولية حول مكافحة الإرهاب الدولي ، ومنع تجارب وامتلاك السلاح النووي ، وتطبيق قرارات مجلس الأمن والأمم المتحدة في القضية الفلسطينية وعجزها عن تطبيق اتفاقية كيتو لعام ١٩٩١ حول حماية البيئة الدولية من متغيرات المناخ المضرة عليها ، كل هذا الفشل رتب بيئة نفسية ومادية لفشل تطبيق مشاريعها المعلنة في العراق بعد عام ٢٠٠٨ (٣٠).

انعكاس أزمة القوة الأمريكية الشاملة في إدارة السلطة العالمية على مستقبل العراق:

مع بدايات العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين ظهرت جليا تداعيات تقهقر عناصر القوة الأمريكية الشاملة لاسيما في أهم عنصرين هما القوة العسكرية والقوة الاقتصادية ناهيك عن تصدع النظام الاجتماعي العام جراء انتشار مساحات الجريمة المنظمة وتعاطي المخدرات وتفكك النظام الأسري وتراجع مستويات التعليم العالي والعلمي بالمقارنة مع مجتمعات الدول المنافسة للولايات المتحدة الأمريكية .هنا نستذكر إشارة أستاذ التاريخ والأمن الدولي بول كنيدي حين ذكر "لا ريب أنه كان للولايات المتحدة على مدى المائة ١٠٠ سنة الماضية من التأثير ما لم يكن لأية بلاد أخرى، ولهذا السبب يمكن أن نسمي القرن العشرين اختزالاً أمريكياً" أكثر مما بدا القرن السادس عشر اسبانياً، والقرن الثامن عشر فرنسياً، والتاسع عشر بريطانياً". وفي المعنى نفسه كتب عميد معهد العلوم السياسية في سنغافورة كيشورمحبوباني ، فذكر "أوروبا هي التي هيمنت على الماضي ، الولايات

المتحدة على الحاضر ، فيما ستكون آسيا هي المهيمنة على المستقبل" ، وفي السياق نفسه عبر البروفسور الإسرائيلي افرام عنبار عن مخاوفه من تداعيات تراجع القوة الشاملة الأمريكية على الأمن القومي الإسرائيلي (٣١) ، وجسد الأزمة الخبير الاقتصادي العالمي مارتن د. ويس ، فكتب " بالرغم من تواتر الأزمات الإقتصادية وتعاقب تداعياتها إلا أنَّ الأزمة الأخيرة في الكساد الإقتصاد الأمريكي اختلفت عن الأزمات الإقتصادية والمالية جميعها والتي مرت بها إقتصاديات دول العالم الرأسمالي كلها ومنها الولايات المتحدة ، وتراكم هذه التداعيات ستؤدي بمستقبل المكانة الأولى للولايات المتحدة في النظام الدولي لمرحلة ما بعد انتهاء حقبة الحرب الباردة. وأكد ذلك ريتشارد هاس المفكر الاستراتيجي الأمريكي إذ ذكر " إنَّ العالم يتجه الآن إلى نظام غياب القطبية. وليس هناك شك في أن الولايات المتحدة ستدخل القرن الحادي والعشرين كقوة عالمية من الدرجة الأولى. لكن الدراسات معظمها تشير إلى وجود أزمة في قوتها الشاملة ترتب تراجعاً أمريكياً في إدارة السلطة العالمية في ظل غياب نظام دولي بمواصفات تعكس توازنات أحجام وتأثيرات ونفوذ القوى الدولية الحالية ؟ وهنا موضع التساؤل (٣٢)

الجدول لبعض المؤشرات الإقتصادية للولايات المتحدة الأمريكية والصين لعام ٢٠١٠

الدولة	التغيير في الناتج المحلي	التغيير في الناتج الصناعي	الميزان التجاري بمليارات الدولارات	الحساب الجاري كنسبة من الناتج المحلي	عجز أو فائض الموازنة كنسبة من الناتج المحلي
الولايات المتحدة	٢,٦	٥,٣	- ٦٣٢,١	- ٢,٣	٩
الصين	١٠,٢	١٣,٣	+ ١٨٦,١	+ ٥,٦	٢,٢

(٣٣)

التفوق الأمريكي في تراجع :

تراجع القوة الامريكية الشاملة ٢٠١٧-٢٠٠٨ رتب تغيير في حجم ونوع ادارة السلطة العالمية وفي نوع وحجم التدخلات في شؤون الدولة العراقية ، ويمكننا ان نشير بذلك الى ما طرح المرشح للرئاسة الأمريكية باراك اوباما برنامج التغيير في انتخابات ٢٠٠٩-٢٠١٣، ووافق الناخبون على الطول التي قدمها لمشاكل الوقائع التي ورثتها الدولة لحربين مفتوحتين في أفغانستان والعراق، وغياب إي

تقدم باتجاه نشر وتوسع الرفاهية التي وعدت بها الإدارة الأمريكية كمكسب من مكاسب الانتصار التاريخي على الشيوعية العالمية عام ١٩٩٠، وفشل الإستراتيجية الأمنية الكبرى للولايات المتحدة الأمريكية التي تضمنت ضرورة وجود القدرة على كسب حربيين إقليميين في الوقت نفسه، ونشر قيم الديمقراطية وحقوق الإنسان في العالم كما أقرها الكونغرس الأمريكي في إدارتي الرئيسين كلينتون ١٩٩٣ وبوش الابن ٢٠٠٢، بعد انتخاب الرئيس الرابع والأربعين (٣٤) أوباما تبع تفهقر القوة العسكرية التفهقر في القوة الاقتصادية، وأصبحت القوات مسلحة منهكة ومبعثرة على أكثر من جبهة، وحروباً بدون نتائج مرضية وبدون نهايات واضحة على الإرهاب بدأت بعد أحداث ١١ أيلول/ سبتمبر واستمرت بالتصعيد والتوسع، فالحربان أوقعت المواطن الأمريكي في ورطة كبيرة لدرجة مؤرقة، وهو مازال يتساءل كيف سيتم وضع حد للحرب في العراق؟ وكيف ستكون نتائج الانسحاب الأمريكي بعد نهاية عام ٢٠١١ وأفغانستان كيف ستؤثر نتائج الانسحاب الأمريكي عنها نهاية عام ٢٠١٤، وما هو مصير الحرب على الإرهاب الدولي (٣٥).

ورث أوباما مواجهة تراجع المكانة العالمية لإنتاج السلع والخدمات كما ونوعاً مقارنة مع صعود نسبة الإنتاج العالمي كما ونوعاً للاتحاد الأوروبي والصين واليابان والهند والبرازيل، وشكلت قضية صعود أسعار النفط التي وصلت إلى نحو ١٥٠ دولاراً ٢٠٠٩-٢٠١٠، على الرغم من إفادة شركات النفط من هذه الزيادة لكنها في المقابل تضيف أعباء مالية جديدة على كاهل المواطن الأمريكي ناهيك عن تلك الأعباء التي تفرزها المديونية العالية على الميزانية المالية من ركود اقتصادي يرفع من نسبة البطالة وتدني مستوى النمو الاقتصادي. وعجزاً بلغ أكثر من تريليون دولار، وديناً يتضاعف حتى زاد عن ١٠ تريليون دولار عام ٢٠١٢، وتراكم تداعيات الأزمة المالية والإقتصادية منذ عام ٢٠٠٧ لغاية اليوم أدت إلى انهيارات كبرى لشركات التأمين والرهن العقاري وانخفاض سعر الدولار وارتفاع أسعار النفط (٣٦)

والتحديات الجديدة تنبع من خلال ردود أفعال الشعوب الأخرى على المنهج الجيوسراتيجي للسياسة الخارجية الأمريكية لاسيما تلك المتعلقة بسياسة الهيمنة المطلقة على أوروبا الشرقية، وآسيا الوسطى وجنوب شرق آسيا وحروبها في العالم الإسلامي و الشرق الأوسط منذ ٢٠٠١ التي تعارضت مع مبدأ نشر التجارة والديمقراطية وقيم المجتمع الأمريكي.

ومع نهاية العقد الأول من القرن الحادي والعشرين انتهت معه الجوانب المضئئة في البيئة النفسية للمجتمع الأمريكي من مشاعر الأمن والازدهار والثقة، وأصبح عامة الناس مكرهين على الخضوع لحالة عدم الاستقرار على صعيد الوظيفة والدخل والضمان الاجتماعي والصحي وهم يراقبون الإدارة

الأمريكية في تنافر وصراع مع القوى السياسية ولاسيما المحافظة حول مصير أزمة الحكومة الاتحادية فيما يتعلق بالهوية المالية ١ كنتيجة من نتائج الأزمة المالية ٢٠٠٧-٢٠١٣ التي صاحبت تنامي مظاهر التحديات لعولمة النموذج الاقتصادي السياسي الأمريكي الذي بنا بريقه على نجاح تجاوب الديمقراطية الليبرالية مع الليبرالية الاقتصادية (٣٧).

وعبر عن أزمة تراجع القوة الشاملة الأمريكية الرئيس الأمريكي الرابع والأربعين باراك اوباما "بالعجز الذي قيد القدرة على بناء الأمة من الداخل. كما يشير الصراع بين جماعات المصالح الخاصة وجماعات الضغط السياسية من جهة وجماعات المصالح العامة من جهة ثانية إلى تقويض قدرة النظام السياسي على التجديد والتطوير وبناء التحالفات الإقليمية والدولية للمحافظة على التفوق السياسي الدولي، ورتب الصراع المستديم بين الحزبين الديمقراطي والجمهوري وحلفائهما المحليين والدوليين إلى تشويش الرؤية لدور العامل الاجتماعي في المشاركة بصنع القرار الاستراتيجي والإسهام في بناء تفوق القوة الشاملة القومية (٣٨)

أمّا عن السياسة الخارجية فعلى الرغم من الترابط العضوي ما بين السياستين الداخلية والخارجية فإنها تخضع اليوم لتنافر الرؤى حول الأولويات والأهداف والاستراتيجيات. وكان لدى الولايات المتحدة حقبة الحرب الباردة استراتيجية الاحتواء التي نالت إجماع القوى المجتمعية الأمريكية عليها جميعاً، في السياسة الخارجية برزت تناقضات في التقاء مع السياسة الخارجية الروسية بعد تقدم القوة الشاملة فيها الى مرتبة المنافس الندد للولايات المتحدة في اغلب عناصرها ، ومن ابرز مظاهرها غياب التفاهات حول منطقة القوقاز والبلقان وأوروبا الشرقية لاسيما في قضية اوسيتيا الجنوبية عام ٢٠٠٨، وارتفعت درجة السخونة بسبب سياسة واشنطن الاستفزازية لروسيا والصين فيما يتعلق ببرنامج نشر الدروع الصاروخية في أوروبا ، وتوسيع دائرة حلف الناتو من دول الجوار الروسي، وبخاصة في جمهوريتي بولونيا والتشيك دون التعاون مع روسيا . وجاء احتلال العراق ٢٠٠٣ بنتائج تصديع العلاقات الأمريكية مع الاتحاد الاوربي لأسباب عديدة منها تتعلق بمستقبل ادارة شؤون العراق وغياب التصور الواضح لحجم مشاركة الاتحاد الاوربي في هذه الادارة لضمان مصالح الاتحاد الأوربي (٣٩)

العراق في ظل متغيرات الربيع العربي وتمدد الارهاب ٢٠١٠-٢٠١٨

تعرض العراق بشكل خاص ومنطقة الشرق الاوسط وشمال افريقيا بشكل عام الى عاصفة من التداخلات من قبل القوتين العظميتين ، الولايات المتحدة الامريكية وحلفائها ، وروسيا الاتحادية وحلفائها ، وتجسدت العاصفة في :

١- تبنت الولايات المتحدة " مشروع الربيع العربي" عام ٢٠٠٩ ، وكم افصح عنه الرئيس الامريكي السابق باراك اوباما في خطاب القاه جامعة القاهرة، عبر فيه عن رسالة الولايات المتحدة الانسانية تجاه العالم هي رسالة تعبر عن القيم المجتمعية الأمريكية، وعن المسؤولية الانسانية الأمريكية لقيادة الجهود الدولية لحماية امن العالم، وهي تعبر عن الاهلية المتميزة لقدرات الولايات المتحدة لإدارة السلطة العالمية(٤٠) ، وتتناغم الرسالة مع الدستور الدائم لعام ١٧٨٧ ، وتعديلاته الاولى في لائحة الحقوق لعام ١٧٩١، وتتسجم مع مقاصد ميثاق الامم المتحدة والمعاهدات الدولية التي وقعت عليها الولايات المتحدة. هذه الرسالة طرحها الرئيس الأمريكي وودرو ويلسون ١٩١٤-١٩٢١(٤١)، وقد جاءت رسالة الاستراتيجية الأمريكية لمحاربة الارهاب لعام ٢٠٠٢ على وفق هذا الملول" الان تجد الولايات المتحدة نفسها امام واجب اخلاقي ومسؤولية تاريخية، ويتمثلان في نقل مبادئ الدستور الأمريكي الى العالم ، واكد ذلك الرئيس باراك اوباما يوم ١١/٩/٢٠١٤ ، فقال " أمريكا لها نعم وفضلٌ كبير، وغير متناهٍ في ذلك الطريق الصعب ، ومستعدة للقيادة من قبل قارات اوربا واسيا وصولاً الى افريقيا والشرق الاوسط لتحقيق الحرية والعدالة . وكرر ذلك في خطابه في الدورة ٦٧ للأمم المتحدة يوم ٢٥/٩/٢٠١٤ ، فنكر "لقد اتخذنا هذه المواقف لأننا نؤمن بأن الحرية وتقرير المصير لا يقتصران على ثقافة واحدة . هذه ليست مجرد قيم أميركية أو قيم غربية ، إنها قيم عالمية(٤٢)

وخطت الادارة الامريكية لتطبيقه استراتيجية التغيير باسم " الربيع العربي" وابتداءً من عام ٢٠١٠ ، بعد ان اعتمدت على القوى السياسية الاسلامية المذهبية ، وتمويل مالي من قبل دولة قطر وبعض المنظمات الغير حكومية ، وافرز تطبيق هذه الاستراتيجية فوضى سياسية واقتتال اهلي في سورية ، ومصر ، وليبيا ، وتونس ، وتم بناء تحالف امريكي - اقليمي جديد لهذه الغاية ، وانعكس المشروع الاسلامي السياسي على العراق بأبشع صور التخلف والتصدع للتماسك الاجتماعي الذي ميز شعب العراق، وستند المشروع الامريكي، وانهارت القوة العراقية في اطارها الاجتماعي بعد انهيار منظومة الاخلاق، حيث انتشرت بشكل كبير ظواهر الفساد والتزوير والتخريب والسوق السوداء، وارتفعت

بشكل استثنائي وخطير معدلات البطالة والهجرة والاختطاف ، والجرائم الاجتماعية والجرائم المنظمة
(٤٣)٠

بيد ان اخطر افرزات هذا المشروع على العراق وسورية هو تمدد ارهاب " تنظيم الدولة الاسلامية" داعش فقد انتزع التنظيم المسلح الارهابي لهذه الدولة مساحات كبيرة من ارض العراق قدرت بنحو ٣٠% منها ، وادت العمليات العسكرية لتحرير الاراضي منه الى تدمير محافظات عراقية بنسب تكاد تصل الى ٧٥-٨٥ من البنى التحتية لنينوى - والانبار - وصلاح الدين- وديالى ، ناهيك عن الاضرار البشرية في القتل والتيم والتزلزل لملايين من البشر، اضافة الى ارتفاع اخر وكبير في معدلات الهجرات الداخلية والخارجية ، وتدمير الانظمة التعليمية والصحية والاقتصادية والسكنية، والثقافية، وحتى المرافق الدينية . وفشل التحالف الدولي الذي اشرفت على بنائه الولايات المتحدة استناداً الى القرارات ذات الصلة بموضوع الارهاب في سورية والعراق ٢٠١٧، ٢٠١٧، ٢٠١٧، لعام ٢٠١٤، والقرار ٢١٩٩ لعام ٢٠١٥. في تحقيق اهدافه وازاحة سيطرة تنظيم الدولة الاسلامية واحتلال محله متغيرات جيوسراتيجية في المنطقة تقضي الى توسيع المصالح الامريكية.

٢- تبنت روسيا الاتحادية تشكيل تحالف استراتيجي يضم ايران وسورية والقوى السياسية الشيعية المسلحة في العراق ولبنان واليمن لاستغلال فرصة عدم نجاح المشروع الامريكي في تحقيق اهدافه ، والتحرك ودعم وتوسيع مساحات نفوذها في المنطقة ، وبالرغم من النجاح النسبي للمشروع الروسي الذي استند على استعراض مخيف ومدمر للقوة العسكرية الاستراتيجية فإنه قد رسم مسار خطير للصراع المسلح بين انصار المشروع الامريكي وانصار المشروع الروسي سوف يستمر لمدة غير قصيرة ترتب المزيد من الدمار لدول وشعوب المنطقة ومنها شعب ودولة العراق (٤٤).

الخاتمة

الاستنتاجات

١ - سيناريو العراق في ظل عودة نظام دولي ثنائي القطبية:

الدولة العراقية لم تستطع التخلص من تدخلات القوى الدولية التي تغيرت اولويات تدخلها طبقاً لتغير حجم ونوع قوتها الاستراتيجية الشاملة خلال القرن العشرين ، بالرغم من الدمار الذي حل بالدولة العراقية مع بداية القرن الحادي والعشرين ولغاية اليوم لم نجد افراز واضح المعالم يصف العراق في تحالف شرقي تقوده روسيا او في تحالف غربي تقوده الولايات المتحدة ، واذا استقر النظام الدولي المرتقب على عودة لثنائي القطبية وعودة الحرب الباردة فان العراق لا يمكنه الاستمرار في الحرب الاهلية بين انصار القطبين لان جميع عناصر قوته الداخلية ستنفذ وتتفكك الدولة بعد فشلها الكبير الى دويلات عرقية ومذهبية تكون بمثابة غنيمة تستحوذ عليها القوى الاقليمية والدولية طبقاً لحجم ونوع قوتها.

٢ - سيناريو العراق في ظل بقاء نظام الدولي الأحادي القطبية :

ان الصعود الانفجاري للقوة الاقتصادية الصينية قد يجعل منها قوة عالمية فاعلة تشارك في ادارة السلطة العالمية (٤٥)، وتكون قطب جديد في النظام الدولي المرتقب . كما ان الاتحاد الاوربي قد يتمكن من تجاوز نقاط الضعف فيه لا سيما بعد اعلان بريطانيا الانسحاب منه عام ٢٠١٧ ، وقد يطور فاعليته في السياسة الدولية بعد بناء تحالف استراتيجي مع اليابان كي يرتقي الى مكانة القطب الجديد والمؤثر في ادارة السلطة العالمية.

ام معظم المحللين يؤدون خيار ظهور نظام دولي متعدد الاقطاب ، بمعنى ان طبيعة التدخلات طبقاً لهذا النظام ستكون مختلفة على دول الشرق الاوسط ومنها العراق ، ومن لا وجود له من نفوذ وسيطرة في هذا المنطقة لا يعد قطب من اقطاب النظام الدولي الجديد.

مخطط الرؤية الإستراتيجية في مشروع القرن الأمريكي قبل إحداث ١١/٩/٢٠٠١

القرن الحادي والعشرين	المجال الاستراتيجي
نظام أحادي القطب	النظام الأمني الدولي
الحفاظ على السلام وفق الرؤية الأمريكية	الأهداف الأمريكية الإستراتيجية
حماية وتوسيع نطاقات السلام الديمقراطي -ردع نشوء قوة عظمى جديدة - حماية الدول الحليفة - حيازة التفوق العلمي والعسكري	المهام العسكرية الأساسية العسكرية
إمكانية حصول معارك متعددة في البيئة الدولية	التحديات العسكرية الأساسية
شرق آسيا	إمكانية ظهور تنافس استراتيجي

(٤٦)

التوصيات :

١- بناء قوة ذاتية عراقية مؤثرة في الاقليم:

احتواء نتائج تصدعات البيئة الداخلية العراقية ٢٠٠٣-٢٠١٧:

١- تصدع في النظام الاجتماعي والسياسي لغياب نظرية عمل متفق عليها، وبسبب تأجيج الصراعات الطائفية وانتشار ملحوظ لتنظيم القاعدة وفروعه من التنظيمات الإرهابية الأخرى، اندفاع قومي كردي سريع نحو الأهداف القومية بشكل غير متوازي ومتقاطع مع مطالب العرب والأقليات الأخرى وخاصة في قضية نفط وأراضي كركوك، ومسألة تنظيم العلاقة مع الأقليات الكردية في دول الجوار، وقضايا التنمية ، غياب الاتفاق على تقسيم الثروة الوطنية بين المركز والإقليم الكردي والمحافظات ، مشاكل قانونية دستورية تتعلق بالاختلاف على هندسة للسلطات وتنظيم الصلاحيات ، غياب الاتفاق على بناء جيش وطني .

٢- تصدع في أنظمة الأمن والاقتصاد والبيئة والتعليم والصحة والخدمات البلدية ، حيث يوجد استياء شعبي واسع من عدم إشباع الحاجات الرئيسية للفرد والجماعة في العراق.

٣- تصدع نظامه العسكري والأمني الذي ظهر عاجزا عن حماية الحدود والأجواء والمياه الإقليمية وضمان حماية السلم الأهلي .

٤- تصدع نظامه السياسي الذي يعاني من غياب التوافق على الدستور المنظم للنظام السياسي وغياب المنهجية الديمقراطية في الفصل بين السلطات لأجل التكامل والتعاون والرقابة المشتركة . وغياب الاتفاق المطلوب لبناء النظامين الانتخابي ، والحزبي الموائمين للخصوصية العراقية الديمغرافية والسياسية والثقافية . وشكل غياب منظمات المجتمع المدني والثقافة الديمقراطية في المدرك

الفردية والجمعي تصدعا اخر في النظام السياسي العراقي الوليد . وان عجز النظام السياسي الانتقال من ديمقراطية التوافق الى ديمقراطية الأغلبية مع ضمان حقوق وفاعلية الأقليات والمعارضة تحت هوية جامعة تحتوي جميع الهويات الفرعية العرقية والمذهبية هو الأخر كان شكلا من أشكال التصدع والضعف .

٥- تصدع النظام الأسري بشكل خطير جراء مواجهته صعوبات تكوين الأسر الجديدة لمشاكل تتعلق بغياب الإمكانيات المادية والمعنوية لزواج الشباب لأسباب متصلة بأزمة العمل والسكن والأمن والسلم الأهلي وعدم الاستقرار ، وكما إن الأسر الموجودة معرضة للتفكك لغياب الضمانات المادية والاعتبارية لاستمرارها ويشهد العراق حالات متصاعدة من الطلاق خارج النسب الاعتيادية.

٦- تصدع النظام البيئي الذي تم إهماله قبل الاحتلال عام ٢٠٠٣ وبعده ، فنفاقت مشاكل ظاهرة التصحر وقلة المياه لمستلزمات الزرع والرعي، و انتشار الأمراض المعدية والخطيرة، وزيادة معدلات التلوث، ناهيك عن الضرر البالغ الذي أصاب الأرض العراقية من مخلفات الأسلحة المحرمة والملوثة للأرض وللإنسان وللحيوان ، وبقاء قسم كبير من الأراضي في جنوب العراق غير صالح للسكن والاستخدامات الأخرى بسبب انتشار الألغام فيه. وتلوث الأنهر العراقية التي يعتمد عليها الشعب العراقي في الشرب وسقي المزروعات.

٧- تصدع النظام الاقتصادي، فغياب المنهجية الاقتصادية المتفق عليها لإدارة الثروة السيادية بعقلية القطاع الخاص والمبادئ البرغماتية العملية، وعجز النظام المالي والمصرفي في بناء تجربة حديثة وجديدة للاستثمار الوطني ، وكما شكلت المعضلة الاقتصادية العراقية (الاقتصاد الأحادي الجانب) وبقاء ارتكاز اقتصاد العراق على العائدات المالية لإنتاج النفط خطورة كبيرة على مستقبل العراق الاقتصادي والسياسي .

احتواء نتائج تصدعات البيئة الخارجية للعراق -٢٠١٧:

كان التقييم الاستراتيجي لعراق قبل الاحتلال عام ٢٠٠٣ من الناحية الاقتصادية : انه وعاء استراتيجي للثروة النفطية والمعادن الحيوية الأخرى وخاصة الغاز والكبريت والحديد . وبعد إن تزايد العطش العالمية للنفط جراء الثورة الصناعية والتجارية لظاهرة توسع الاستهلاك العالمية ، ازدادت أهمية الاحتياط العالمي للنفط في العراق وتصاعدت هذه الأهمية مع تناقص الاحتياط الاستراتيجي الأمريكي إلى اقل مستوياته عام ٢٠١١ حتى وصل إلى ٢% من الاحتياط العالمي في الوقت الذي يتزايد حجم الاحتياط من النفط العراقي إلى ١٤٠ مليار برميل بموجب الأرقام المتداولة والمحتملة

عالميا بدرجة عالية ، هذا الاحتياط تم احتسابه دون إضافة الاحتياط المحتمل من المخزون في الصحراء الغربية للعراق .

١- ضعف المقوم الجيوبوليتيكي للموقع وللسكان جراء الخنق عن طريق الخليج والحرمان من التواصل مع أوروبا عبر تركيا ، وتطويع صفة حلقة الاتصال ما بين العرب من جهة واسيا الغير عربية لغياب العلاقات الجيدة مع الطبيعية مع سورية والسعودية والأردن.

٢- غياب الدور الإقليمي الفاعل الذي يغري القوى العظمى للتعامل مع العراق ويستقطب القوى الإقليمية للتعامل معه بالندية أو بالتحالف أو بالتعاون والاحترام المتبادل للمصالح العليا وللسلم والأمن الإقليمين.

مستقبل العراق السياسي والجيوسياسي مرهون ببناء نظام اجتماعي فاعل متماسك يحقق الحضور المؤثر في البيئة الإقليمية ويساهم في تحقيق توازن القوى والمصالح في العالم ، وبغياب مثل هذا النظام فلا مجال للحديث عن السيادة وعن فاعلية السياسة الداخلية أو السياسة الخارجية ، وان التكامل الديناميكي بين النظام الاجتماعي والسياستين الداخلية والخارجية هو قانون معروف في توصيف الدول منذ نشوء الدولة القومية في القرن السابع عشر ولغاية اليوم .

المصادر :

- 1- Weber Max, The Theory of Social and Economic Organization , Translated by ;A Hender Son and Talcott , Oxford University Press NewYork. Second Edition, 1957, 152
- ٢- ينظر : د. إسماعيل صبري مقلد ، الإستراتيجية والسياسة الدولية ، المفاهيم والحقائق ، مؤسسة الأبحاث العربية- بيروت ١٩٧٩ ، ص ٩٩ .
- ٣- المصدر نفسه، ص ١٠١
- ٤- لمزيد من المعلومات ينظر : زيبغنيو بريججنسكس ، أمريكا وأزمة السلطة العالمية / رؤية إستراتيجية ، دار الكاتب العربي بيروت ٢٠١٢ ، ص ١٩ .
- ٥- الجنرال روبرت سميث ، جدوى القوة ، الدار العربية ناشرون ، بيروت ٢٠٠٨ ، ص ٢٦٥ .
- ٦- د. إسماعيل صبري مقلد ، الإستراتيجية والسياسة الدولية مصدر سبق ذكره ، ص ٩٩ .
- ٧- لمزيد من المعلومات ينظر : صموئيل هنتغتون ، صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي ، ترجمة د. مالك ابوعميرة & د. محمود محمد خلف - الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع - بنغازي ١٩٩٩ ص ١٢٧-١٢٨ ،
- ٨- سمر عبد الستار أمين، العراق بوابة التغيير في الشرق الأوسط ، مركز الدراسات الدولية العدد ١١٢ كانون الثاني ٢٠١١ ، ص ١٠ .

- ٩- ستانلي رينشون & جون دوكت ، وآخرون ، علم النفس السياسي ، ترجمة عبد الكريم ناصيف ، دار التكوين - دمشق ٢٠١٢.
- ١٠- د. إسماعيل صبري مقلد ، مصدر سبق ذكره ص ١٠٠
- ١١- علي الدين هلال ، التعاون الاقتصادي في المعسكر الشرقي حقبة الحرب الباردة ، مؤسسة الأهرام ، تحت الرابط digital.alahram.org.eg
- ١٢- لمزيد من التفاصيل ، راجع : باراج خانا ، العالم الثاني ، السلطة والسطوة في النظام العالمي الجديد ، ترجمة وإصدار الدار العربية للعلوم ناشرون ط١، بيروت ٢٠٠٩ ، ص ٤٤-٤٥
- ١٣- لمزيد من المعلومات ينظر: حنا بطاطو ، العراق (الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية من العهد العثماني حتى قيام الجمهورية ، ترجمة عفيف الرزاز الطبعة الثانية، مؤسسة الأبحاث العربية بيروت ١٩٩٥ ، ص ١٤٨.
- ١٤- المصدر نفسه، ص ١٥٢
- ١٥- عبد القادر رزيق ، مشروع الشرق الأوسط الكبير الحقائق والاهداف، الدار العربية للعلوم ، بيروت ٢٠٠٥ ص ٥٣
- ١٦- سرمد عبد الستار امين، العراق بوابة التغيير في الشرق الأوسط، مركز الدراسات الدولية العدد ١١٢ كانون الثاني ٢٠١٢ ص ٣٥
- ١٧- علي الدين هلال، مصدر سبق ذكره ص ١٠
- ١٨- من أشهر هذه الاتفاقيات : اتفاقية مركز القوات الأمريكية مع ألمانيا عام بعد الحرب العالمية الثانية ، ومع كوريا الجنوبية عام ١٩٥٠ ، وفي حقبة الحرب الباردة مع معظم دول الاتحاد الأوربي والدول الإسكندنافية ودول منظمة اسيان ودول منظمة التعاون الخليجي العربية ومصر وإسرائيل . ومن أشهر الاتفاقيات بعد انتهاء حقبة الحرب الباردة اتفاقية مع تيمور الشرقية عام ٢٠٠٢ ومع صربيا عام ٢٠٠٦ ومع العراق عام ٢٠٠٨ . للمزيد راجع : باسيل يوسف بجل ، مشروع الاتفاقية الامنية بين العراق والولايات المتحدة ، المستقبل العربي العدد ٣٥٤ لسنة ٢٠٠٨ ص ٨١-٨٤.
- ١٩- برادلي أتاير ، السلام الأمريكي والشرق الأوسط ، المصالح الاستراتيجية الكبرى لأمريكا في المنطقة بعد ١١ أيلول - مركز بيغن ، السادات للدراسات الاستراتيجية ، ترجمة د. عماد فوزي شعبي ، الدار العربية للعلوم بيروت ٢٠٠٤ ص ٢١
- ٢٠- للمزيد من المعلومات ، ينظر : د. إبراهيم خليل احمد & د. جعفر عباس ، تاريخ العراق الحديث ، جامعة الموصل ١٩٨٩ ، ص ٢٠٠.
- ٢١- ينظر : د. ليث عبد الحسن الزبيدي ، ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨م في العراق ، مكتبة اليقظة العربية بغداد ١٩٨١م ، ص ٣٣ و ص ١٨١ .
- ٢٢- هنري كيسنجر، الدبلوماسية من الحرب الباردة حتى يومنا هذا، ترجمة مالك فاضل البديري، الاهلية للتوزيع والنشر ، الأردن - عمان ١٩٩٥ ص
- ٢٣- د. إبراهيم خليل احمد & د. جعفر عباس ، تاريخ العراق الحديث مصدر سبق ذكره ص ١٩٥
- ٢٤- حرب الخليج الأولى ١٩٨٠-١٩٨٨ كانت تهدد المصالح الأمريكية في مجالي الطاقة والتجارة بعد ان نجحت موسكو في توسيع نفوذها من افغانستان صوب مناطق الخليج العربي. ينظر : جورج شولنتر اضطراب ونصر ، ترجمة محمد محمود دبور ، الاهلية للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ١٩٩٤ ص ٤١٠-٤١٢.

- ٢٥- هنري كيسنجر ، الدبلوماسية من الحرب الباردة حتى يومنا هذا ، مصدر سبق ذكره، ص ٨.
- ٢٦- عبد القادر رزيق ، مشروع الشرق الأوسط الكبير ، مصدر سبق ذكره، ص ٥٣ .
- ٢٧- سرمد عبد الستار أمين، العراق بوابة التغيير في الشرق الأوسط ، مصدر سبق ذكره ص ١٠ .
- ٢٨- الثمن الكبير الذي استلمته واشنطن من عملية " تحرير الكويت " عام ١٩٩١، والمنافع الاقتصادية التي ترتبت عن عمليات بيع الأمن (سوق بيع الأمن لدول الخليج العربي) كانت من العوامل الدافعة في اتجاه قيام الحرب واحتلال العراق عام ٢٠٠٣، ليكون نقطة ارتكاز للمحافظة على هذه المنافع وزيادتها . . لمزيد من المعلومات ينظر : نعم تشومسكي - النظام العالمي القديم الجديد ، ترجمة عاطف محمد عبد الحميد ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ٢٠١٠ ص ١٣- ١٤ .
- ٢٩- الإعلان حدد خمس نقاط هي :١- تعترف روسيا بأولوية المبادئ الأساسية للقانون الدولي. -٢- ويجب أن يكون العالم متعدد الأقطاب ٣- وروسيا لا تريد المواجهة مع أي بلد ولا تريد العزلة عن العالم .٤- حماية الأشخاص والمصالح الروسية اولوية ولا نقاش فيها. ٥- العمل على حماية التعاون لدول الإقليم .راجع : جورج فريدمان مؤسس ومدير مؤسسة ستراقتورد البحثية الأمريكية - صدر التقرير عن المؤسسة تحت عنوان (The Medvedev Doctrine and American Strategy) شبكة المعلومات الدولية تحت الرابط : <<http://www.stratfor.com/weekly/medvedev-doctrine-and-american-strategy>>
- ٣٠- يذكر دينيس روز الذي عمل كثيرا كمستشار لشؤون الشرق الأوسط في إدارة الرئيس كلنتون وبوش - أشار (أعظم إخفاق لنا في العراق يتعلق بالتقديرات) فغياب المصادقية لنا عن وجود أسلحة دمار شامل مع انتشار عمليات النهب والتدمير للبنى التحتية للدولة وغياب سلطة شرطية وعسكرية لتطبيق القوانين ، وانتشار الفوضى والإهابة ، كلها جعلت إعادة بناء العراق عملية صعبة جدا ، فكيف بنا ان نبرزه ك نموذج جديد لدولة شرق أوسطية . للمزيد راجع : دينيس روس ، فن الحكم، كيف تستعيد أمريكا مكانتها في العالم ، ترجمة هاني تابري ، دار الكتاب العربي -بيروت ٢٠٠٨ ص ص ١٥٧-١٥٥.
- ٣١- ليون هادر ، عاصفة الصحراء، فشل السياسة الخارجية الامريكية ، ترجمة سعيد الحسني، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت ٢٠٠٥ ص ٩٠
- ٣٢- لأزمة الاقتصادية العالمية بدأت في الولايات المتحدة عام ٢٠٠٧ وانفجرت صوب الدول الأخرى عام ٢٠٠٨ وتفاقت عام ٢٠٠٩ وعلى سبيل المثال خسر قطاع الرهن العقاري في أمريكا ٣٠٠ مليار وخسرت الدول الأخرى في هذا القطاع ٥٥٠ مليار دولار انظر : مروان اسكندر - تطور دبي وأزمته - المستقبل العربي - العدد ٣٧٢ لسنة ٢٠١٠ ص ٧٩ - ٨٠
- 33- The Economist (27 November 2010) , p.97.
- ٣٤- من أهم مظاهر التراجع :أولا - انحرفات النشاطات الاقتصادية: ، وقد اشار الباحث جورج وليام دومنهوف إن نسبة ١% من الشعب يملكون ٧٤% من الثروة الوطنية الأمريكية ، و ٨٠% من الشعب من الطبقة الوسطى يملكون من الثروة ما نسبته ١٦% ، ٢- عدم معالجة البطالة وتنظيم سوق العمل ١٩٨١، بمعنى أن النظام لم يقص على البطالة في المجتمع. ٣- تنامي مخاطر الهاوية الاقتصادية: وهي أزمة مستديمة تعرف بوقوع خلل خطير ومفاجئ يضرب السلوك المعتاد للمنظومة المالية والاقتصادية بما يشكل تهديدا مباشرا للدولة وللمجتمع وللأفراد. للمزيد راجع : جورج وليام دومنهوف ،من يحكم أمريكا عام ١٩٦٧" و كتاب " الدوائر العليا القطط السمان

- والديمقراطيون عام ١٩٧٠" وكتاب " من يحكم أمريكا ألان عام ١٩٨٣". شبكة المعلومات الدولية الالكترونية تحت الرابط www.ahram.org.eg/aricfhive/2009/6/26.
- 35- THAT USED TO BE US-Thomas L. Friedman&Michael Mandelbaum - Straus&Giroux,West 18thStreetNew York 10011 First edition 2011 Farrar .p,244
- ٣٦- راجع فريد زكريا - عالم ما بعد أمريكا ، ترجمة بسام شيحا ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ٢٠٠٩ ص ٣٨٨.
- ٣٧- مايكل هدسون - تحولات جيو-سياسية المستقبل العربي العدد ٤١٤ أغسطس ٢٠١٣ ص ٩٥-٩٧.
- ٣٨- ينظر : اندرو باسيفيتش ، الإمبراطورية الأمريكية ، حقائق وعواقب الدبلوماسية الأمريكية ، ترجمة ونشر الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ٢٠٠٤ ص ٩٦-٩٩.
- ٣٩- أكد إن نظاما دوليا جديدا قائم على التشكيل بسبب تراجع القوة الأمريكية في العالم . لمزيد من التفاصيل ، راجع : رينشتر هاس - عرض كتاب - بعد الهيمنة الأمريكية ، عالم بلا أقطاب -شبكة المعلومات الدولية تحت الرابط www.alwan.org/The age of Non polarity: what will follow U.S Dominance.
- ٤٠- جاء في اعلان الاستقلال (.أن جميع البشر قد خلقوا متساوين ، وأن خالقهم قد حباهم بحقوق معينة لا تنتزع ، من بينها حق الحياة والحرية والسعي في سبيل تحقيق السعادة.) للمزيد ينظر : لاري الوينز ، نظام الحكم في الولايات المتحدة الأمريكية ، ترجمة جابر سعيد عوض ، الجمعية المصرية لنشر الثقافة العامة ، القاهرة ١٩٩٢ ، ص ٣٢١.
- ٤١- ستيفن فينستيت ، بنيه امريكا، مكتب الولايات المتحدة للاستعلامات ، القاهرة ١٩٤٥ ، ص ١٨٥.
- ٤٢- احمد يوسف، احتلال العراق وتداعياته عربيا ودوليا، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ٢٠٠٥ ص ٣٤١.
- ٤٣- ينظر الرابط: <http://www.youm7.com/story/2014/9/11/>
- ٤٤- التقرير المصور تحت الرابط : <http://iipdigital.usembassy.gov/st/arabic/texttrans/2012/09/201209261365933KMm>
- ٤٥- راجع : زيبغنيويرجنسكس ، أمريكا وأزمة السلطة العالمية / رؤية إستراتيجية ، دار الكاتب العربي بيروت ٢٠١٢ ، ص ١٩-٢١.
- ٤٦- هادي قبيسي - السياسة الأمريكية بين مدرستين - الدار العربية للعلوم ناشرون بيروت ٢٠٠٨ ص ٣١.